الخارطة الاجتماعية لمدينة الدوحة
دراسة سيوأنثربولوجية

اعـــداد

ا. د. فاروق اسماعيل ، ا. د. علي ليلة

وآخـــرون

مركز الوثائق والدراسات الإنسانية

الدوحـــة ـ ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م

مراجعـــة

حصة خليفة أحمد ال ثاني

تعبر الدراسات الاجتماعية والأنثربولوجية عن واقع المجتمع الذى تدرسه من خلال تناولها للتغير الذى يطرأ على المجتمع سواء أكان هذا التغير في التركيب البنائي للمجتمع أو الوضع الدينامي والذي يبرز أهم الظواهر والمشكلات التى تظهر أو تنتج عن التفاعل بين الأنظمة في بناء المجتمع .

والدراسة التى بين أيدينا تمثل ذلك النوع من الدراسات التي تقع في نطاق المسوح الاجتماعية والأنثروبولوجية وقد ركزت هذه الدراسة أساساً على محاولة التعرف على الخصائص الأيكولوجية والاجتماعية والثقافية للمجتمع المحلى مدينة الدوحة موضوع الدراسة . وقد اتسعت حدود هذه الدراسة بخلاف الدراسات السابقة للمجتمع القطرى (*) فلم تركز على الوصف البنائي للمجتمع فقط أو أنها ركزت على أحد الظواهر أو المشكلات في المجتمع ، بل أنها اشتملت على الجانبين البنائي والدينامي الوظيفي للمجتمع ، وهي بعنوان الخارطة الإجتماعية لمدينة الدوحة .

وتجيء هذه الدراسة في (٧٩٠) صفحة تتكون من مقدمة وثلاثة عشر فصلاً وخاتمة بالإضافة إلى خمسة ملاحق ، وقد تبنى هذه الدراسة مركز الوثائق والدراسات الإنسانية بجامعة قطر ، وقام بإعدادها الأستاذ الدكتور فاروق اسماعيل أستاذ الانثربولوجيا كمشرف عام وباحث رئيسي بالدراسة ، و ا. د. علي ليلة أستاذ علم الاجتماع وبمشاركة مجموعة من الباحثين المحليين بمركز الوثائق والدراسات الإنسانية فضلاً عن آخرون عرب .

ولقد تمت طباعة الدراسة ونشرها بواسطة مركز الوثائق والدراسات الإنسانية عام ١٩٩٣ م . وقد ركزت الدراسة على مدينة الدوحة باعتبارها تضم نحو ٨٠٪ من السكان ، كما أن لها سماتها وخصوصياتها وتعتبر ملتقى التغيرات الحضارية والثقافية التي حدثت في الفترة الأخيرة .

ولعل الدافع وراء الدراسة يبرز أهم هدف لها وهو أن رسم هذه الخارطة تقتضيه حتمية النمو العمراني والتغيرات العميقة والطارئة على كافة مناحي الحياة ، إضافة إلى ذلك فإن الأهداف تتضح من خلال مبررات الدراسة التي وضعها فريق البحث والتي تنحصر فيما يلي :

١ – إن هذه الدراسة لمدينة الدوحةوالقائمة على المسح الإجتماعي والأنثربولوجي لخصائصها من شأنها أن تفيد في التعرف على طبيعة المجتمع المحلي .

٢ – إن إنجـاز المسـح الإجتمـاعي والأنثربولوجي لمدينة الدوحة يفيد في عمليات التخطيط العمراني والإجتماعي والثقافي للمدينة والمجتمع القطري عامة .

٣ – هذه الدراسة تساعد على توفير قدر كبير من البيانات والمعطيات العلمية والتي تفيد في إجراء أي دراسات مستقبلية عن المدينة .

٤ – إن إجـراء المسـح الإجتماعي والأنثربولوجي لمدينة الدوحة سيفيد في إجراء دراسات متكررة بعد كل فترة زمنية بهدف الكشف عن حجم التغير والتطور الذي حدث للمدينة .

٥ – هذه الدراسـة تسـاعـد في الكشف عن طبيعة الظواهر الاجتماعية والثقافية والمشكـلات التي تعـاني منهـا مدينـة الدوحة وذلك بدوره يساعد على رسم السياسات الاجتماعية لمواجهة هذه المشكلات في مختلف المجالات .

ويتضح من خلال العرض الذي سارت به الدراسة ـ وكما ذكر في الفصل الأول في الصفحة (٢٩) ـ بأنها عرضت المادة الإحصائية والاثنوجرافية من خلال تصور بنائي لمدينة الدوحة حيث يغطى هذا التصور العديد من الجوانب البنائية مثل :

أ – دراسة التاريخ الاجتماعي لمدينة الدوحة .

ب – دراسة الإسكان في مدينة الدوحة .

ج – تحديد البناء السكاني لمدينة الدوحة من حيث تطور السكان والإسكان بالمدينة .

د – طبيعة البناء المهني لسكان المدينة .

هـ – طبيعة النشاط التعليمي لمدينة الدوحة وكل ما يتعلق بهذا النشاط .

و – الخدمات الصحية في المدينة وكل ما يتعلق بتلك الخدمات .

ز – مؤسسات الضبط الاجتماعي ومستوياته .

– وكما هو معروف ـ فإن تفاعل تلك العناصر مع بعضها البعض داخل البناء من شأنه أن يفرز العديد من الظواهر والمشكلات مثل :

أ – المشكلات التعليمية والصحية .

ب – المشكلات الدينية .

ج – العمالة الوافدة .

د – مشكلة الأسرة والأبناء ، مشكلات الأسرة والشباب .

هـ – مشكلة المخدرات .
و – التغير في قيم الأسرة والزواج في المجتمع القطري .
ز – مشكلات المرأة ودورها المتغير في المجتمع .

ويمثل هذا التصور البنائى والدينامي للدراسة أهم الأبعاد والمحاور التي اشتملت عليها الدراسة وجاءت من خلال الفصول المذكورة .

المنهجية التي اتبعتها الدراسة :

فيما يتعلق بمنهجية الدراسة فإنه قد تم استخدام أربعة مناهج أو لها المنهج التاريخي حيث أن الدراسة قد تناولت النظم الاجتماعية والتي تقتضي دراستها الإلمام بكل ما يتعلق بالنظام من قضايا وظواهر ومشكلات .

وثانيهما المنهج المقارن .. والذي تطلب تطبيقه دراسة نظامين متباينين ويؤديان نفس الغرض كما اتضح من الدراسة بالنسبة لنظام الطب الرسمي والطب الشعبي .

ثم المنهج الإحصائي والذي يتوجب استخدامه من خلال أي من تلك المناهج حيث أن البيانات الكمية والرقمية تحتاج إلى التحليل الإحصائي الذي بدوره يساند المعلومات التي تتوصل إليها الدراسة . وأخيراً استخدم المنهج الأنثربولوجي بهدف جمع المادة عن كل ما يتعلق بتلك النظم . وقد اعتمدت الدراسة على عدة أساليب وأدوات في جمع المادة العلمية والبيانات أهمها : الملاحظة العلمية المقابلة ، دراسة الحالة ، ومقابلة الاخباريين .

أهم الملاحظات :

المبررات التي وضعها فريق البحث للدراسة تضمنت لأهم الأهداف التي يسعى لتحقيقها ، وقد تحقق بالفعل أهم هدف للدراسة ، فإن المسح الاجتماعي والأنثروبولوجي لمدينة الدوحة قد غطى أهم الجوانب الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والنواحي السكانية والاسكان .

يلاحظ أن معظم الفصول لم يوضح بها الإطار النظري المستخدم في عملية الوصف والتحليل ، وإن كانت بعض الفصول قد اعتمدت على بعض النماذج في التغير الاجتماعي كما جاء في الفصول الخاصة بتطور مدينة الدوحة ، تغير المسكن القطرى

والدور الاجتماعي له ، تطور النمو السكاني ، تغير بناء الأسرة القطرية ، تغير دور المرأة في المجتمع القطري .

اتسم العرض الذي سارت به الدراسة بشمولية واضحة في الوصف في معظم المحاور على المستويين البنائي والدينامي ، وإن فاق هذا الوصف الشمولي مستوى التحليل في بعض الفصول لذا لم تأخذ بعض القضايا حقها من التحليل ـ مثل قضية العمالة الوافدة فهي تمثل إحدى القضايا الرئيسية في المجتمع ، ولكنها جاءت بصورة مختصرة مركزة من خلال أحد المحاور في الفصل الخاص بالمجتمع المحلي اهتماماته وقضاياه في الصفحة (٤٣٩) .

كذلك من الملاحظ أن هناك تكرار لبعض المشكلات والظواهر ، فمثلاً المشكلات المرتبطة بالنظام التعليمي والخدمات الصحية قد ذكرت في الفصلين الخاصين بالنظام التعليمي والخدمات الصحية ، ثم تكرر ذكرها في الفصل الخاص بالمجتمع المحلي وقضاياه ، بينما كانت هناك أبعاد تستحق الاهتمام لم تتناولها الدراسة كقضايا الطفل ورعايةالطفولة فهذا البعد كان لابد من تناوله في المحور الخاص بالأسرة ومحاور أخرى لما لهذا البعد من أهمية تنبع من كون الأطفال اللبنة الأولى في أساس أي مجتمع . كذلك أغفلت الدراسة جانب الرعاية الاجتماعية للفئات الخاصة في المجتمع والذي بدأ يحظى باهتمام فعلي على المستويات المختلفة (حكومية وأهلية) ، وقد أنجزت بعض الدراسات في هذا المجال بالفعل مثل دراسة(*) : تقويم برامج الرعاية الاجتماعية للأطفال القطريين المعاقين سمعياً .

ولقد كان من الممكن أن يتم التوزيع بحيث تشتمل الخارطة على مكونات البناء المورفولوجي كأنساق بحيث يضم كل نسق الأبعاد والعناصر المرتبطة به ، كذلك الظواهر والمشكلات الناتجة عنه ذلك لمزيد من الترابط والتجانس حيث أن هذه الدراسة علمية وعامة من أجل المتخصص وحتى القارىء العادي ، وكما جاء في مقدمتها بأن هذه الدراسة تمثل إطاراً معرفياً للقارىء القطري بصفة خاصة حيث أن هذا البحث حاول إبراز طبيعة الأوضاع الحالية ، والتي يمكن الانطلاق منها تنموياً في كافة المجالات .

وتلك الاقتراحات لا تخل بأهمية الدراسة والتي تتضح من خلال ما جاءت به من بيانات وإحصاءات يمكن توظيفها واستخدامها في دراسات وبحوث لاحقة ومستقبلية أو في المشاريع التطبيقية التي من شأنها أن تعمل على تطوير مدينة الدوحة . فمثلاً في مجال الخدمات الصحية يمكن أن توظف تلك البيانات في تطوير

الخدمات الخاصة بالعيادات الخارجية في مؤسسة حمد الطبية لما لتلك القضية من أهمية لدى القائمين عليها ولدى الناس ، وتطوير الخدمات الطبية الأخرى .

وكذلك الإحصاءات التي جاءت فيما يتعلق بالإسكان والسكان بما يفيد في التخطيط من أجل المباني السكنية والتخطيط العمراني بصورة عامة ، كما أن المعدلات الخاصة بالوفيات والمواليد تفيد في تحسين مستوى الخدمات الوقائية والصحية وتفيد في مجال الدراسات والبحوث التقييمية التي تهدف إلى تقييم تلك الخدمات .

أما البيانات المتعلقة بالنشاط الاقتصادي والموارد البشرية فهي تعد أساساً للبحوث والدراسات ذات الاتجاه التنموي بشرياً أو مادياً ، ويقاس على ذلك الاحصاءات التي جاءت في مجال التعليم والخدمات التعليمية والتي يعوّل عليها في بناء وتنمية الإنسان القطري ، فالبيانات الخاصة بهذا النظام والتي عرضت أهم القضايا كالمناهج وطرق التدريس والمشكلات التي أثيرت كالتسرب والدروس الخصوصية يمكن أن توضع كأساس لدراسات مستقبلية من شأنها أن تعمل على تطوير تلك المناهج بحيث تتلائم وروح العصر وتنمية الموارد البشرية التي هي أساس التنمية في هذا المجتمع ، كما أن هذه البيانات بدورها تنبه إلى ضرورة تلائم واتساق تلك المناهج ـ وخاصة في الجامعة ـ مع ما يتطلبه سوق العمل ومشروعات التنمية .

وقد اتضح من إجابات عينة البحث بأن طبيعة المشكلات التي تواجهها الأسرة في مدينة الدوحة تتلخص في التفكك الأسري ، انحراف الأبناء ، غياب أحد الزوجين ، عجز المرأة العاملة عن التوفيق بين العمل والأسرة ، مشكلات الخدمات الفردية وضعف الروابط الاجتماعية .. (وهذا ما بيّنه الفصل الخاص بالأسرة والشباب في مدينة الدوحة) .

وبالنسبة لأهم القضايا التي تشغل بال المجتمع المحلي فقد أوضحت الدراسة أن هناك تنوع هائل من القضايا في المجالات المختلفة كالاقتصاد ، الاسكان ، التعليم ، المجال العائلي ، العمالة الوافدة ، الادارة والبيروقراطية ، الصحة العامةوالثقافة والفن .. الخ (كما هو موضح في الجدول رقم (٥) في ص ٤١٥) وبطبيعة الحال كل من تلك المجالات تضم عدداً من القضايا التي يتدرج الاهتمام بها من قضية إلى أخرى حسب ما يتضح من خلال الجداول في الفصل الخاص بالمجتمع المحلي ، اهتماماته وقضاياه (من ص ٤١٨ وحتى ص ٤٣٢) .

كما أنها قدمت معلومات وبيانات كمية وكيفية في المجالات السكانية والتعليمية والصحية وفيما يتعلق بالمواد الانتاجية والأنشطة الاقتصادية وعلاقتها بالموارد البشرية بما يفيد ـ كل ذلك ـ في إجراء الدراسات والبحوث المستقبلية ، بالإضافة إلى المؤشرات التى خلصت إليها الدراسة والتى تفيد في إجراء دراسات خاصة بكل محور على حدة أو في إجراء دراسات مسحية إجتماعية وأنثروبولوجية ـ بصفة عامة ـ تتكرر كل فترة زمنية بقصد الكشف عن حجم التغير أو التطور الذي حدث لمدينة الدوحة وفي أي اتجاه حدث (*) .

وبصورة عامة فإن هذه الدراسة تعتبر دليلاً يمكن الاستعانة به في الكشف عن طبيعة المجتمع القطري متمثلاً في مدينة الدوحة من حيث التركيب البنائي للمجتمع وما يضم من أنساق متعددة ثم ما يفرزه ـ التفاعل بين تلك الأنساق ـ من ظواهر ومشكلات وقضايا مختلفة .

هـــــوامش

(*) مثل : التحضر في المجتمع القطرى ، دراسة مسحية عن مدينة الخور ، الدوحة : المدينة الدولة وغيرها .

(*) حصـة خليفـة أحمد آل ثاني ، تقويم برامج الرعاية الاجتماعية للأطفال القطريين المعاقين سمعياً ، رسالة ماجستير ، غير منشـورة (القاهرة : كلية الخدمة الاجتماعية ، جامعة حلوان ، ١٩٩٣ م) .

(*) حيث أن تلك أهم الأهداف التي سعت الدراسة لتحقيقها ، كما هو مبين في مقدمة الدراسة في ص ٢٨ .